اسرار مغتسلات كربلاء
التغسيل مهنة متوارثة لا يسمح للغرباء بمزاولتها

تغسيل الموتى، مهنة توارثتها عوائل معروفة من بيوتات كربلاء منذ القدم، ولكن مع اختلاف هيئات واشكال الموتى هذه الايام والمقابر الجماعية واحداث العنف، وشهداء العمليات الارهابية ولتسليط الضوء على هذه العملية واجراءاتها المعتادة وكيفية التعامل مع جثث ضحايا المقابر الجماعية والتفجيرات الارهابية كانت لنا زيارة الى عدد من مغتسلات كربلاء المقدسة.

نجم عبد خضير
انتصار السعداوي

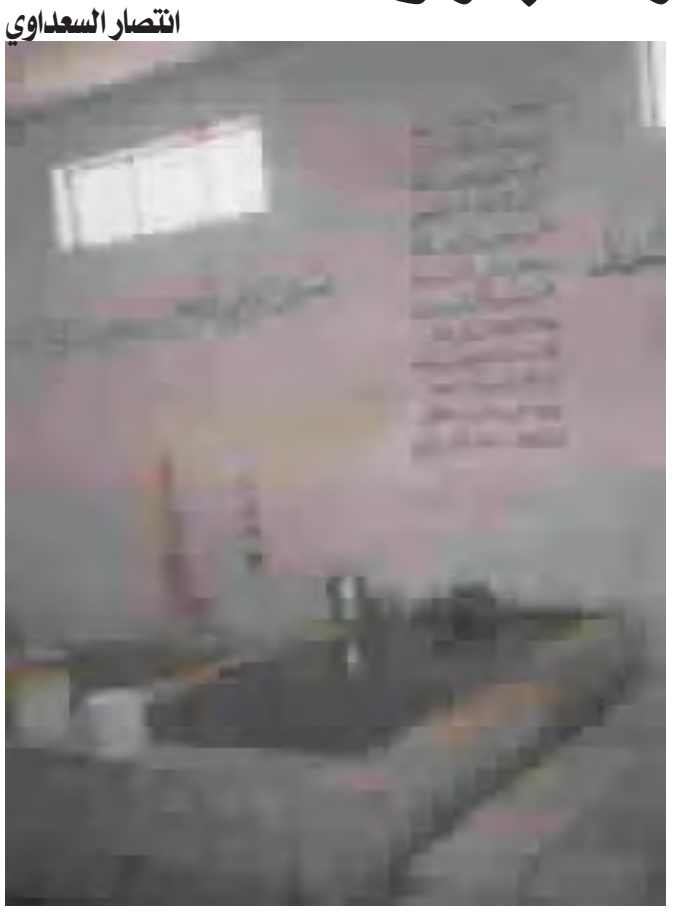

قصة (الجثة) التي عطست فتركها المشيعون وهربوا

الشيخ قاسم كرجي صاحب مغتسل العلقمي قال:
- هناك ثلاثة اغسال للميت مرة بالماء القراح، ومرة بماء السدر ومرة بالكافور، للمرأة والرجل على حد سواء.
- وبالنسبة لجثث الشهداء المحروقة او المتناثرة او رفات شهداء المقابر الجماعية فيجوز ان تيمم بالتراب ثلاث مرات ايضاً مرة عن الماء القراح، ومرة عن ماء الكافور، ومرة عن ماء السدر، وهذا حسب فتاوى المرجعية الشيعية.. وتصادفنا هذه الايام حالات كثيرة من هذا النوع.

وعن تكاليف التغسيل، والكفن، يتحدث (المغسلجي) السيد عباس الكعبي:
لا توجد اجور للتغسيل .. بل هي عملية (للثواب) .. ولكن هناك هدية او (اكرامية) من عائلة المتوفى .. قد تتراوح بين ٢٠٠٠ الى ١٥٠٠٠ الف دينار، اما اثمان الاكفان والحبرة فتستوفى حتماً.
اما تغسيل ودفن الفقراء فيكون مجاناً.. وبالتعاون مع الحوزات احياناً.. ومع بعض العوائل والشخصيات الكربلائية الميسورة احياناً اخرى.
وفي مغتسل النساء التقينا بصاحبة المغتسل (ام هديل) وهي شابة جميلة متزوجة في العشرينيات من عمرها التي قالت:
- اعمل هنا منذ كان عمري ١٥ عاماً ، انا وزوجي متفرغان من العائلة نفسها ونفس (الكار).
★ وماذا عن جثث الاطفال غير الشرعيين.. او النساء المجهولات هل يتم تسلمها؟
- بخصوص الاطفال غير الشرعيين فلا اتسلمهم الا بورقة من الشرطة والصحة.. ولا اقوم بتغسيل وتكفين أي جثة بدون هذه الورقة، لأن هذه جريمة يعاقب عليها القانون.. وتجنباً للمشاكل التي تحصل من جراء ذلك.

السيد امير احمد هاشم، وهو طالب في الاعدادية، حدثنا عن ضحايا الانفجارات، وكيفية توثيق آثارهم وعلاماتهم التي تدل على هوياتهم لكي يتعرف عليها ذووهم.
- تأتينا جثث كثيرة مجهولة.. او معدومة الملامح والمعالم. وقبل اجراء اللازم نقوم بتصوير الجثث والآثار والملابس وتحفظ في اقراص CDلمن يبحث عنها.

ففي احداث العاشر من محرم الماضي وصلتنا لحوم في اكياس وقسم من الجثث كانت مختلطة مع بعضها. وقد تعرف عدد كبير من العوائل، وقسم منهم ايرانيون على جثث ابنائهم من الآثار التي كانت لدينا.

ومع ميثم عباس.. كان لنا حديث حول المياه، مصادرها.. وطرق تصريفها ،قال:
تستعمل مياه الاسالة اذا كانت متوفرة .. وفي حالة عدم توفرها.. فلدينا مخازن تفي بالغرض.. وفي حالات الطوارئ.. نجلب الماء (بتناكر) من مركز المدينة.. اما عن المياه الملوثة والقذرة فيتم تصريفها الى مخازن كبيرة تحت الارض . تسحب بعد ذلك بواسطة سيارات البلدية. فهناك لجان مراقبة تصل الينا بين فترة واخرى من البلدية والرقابة الصحية.

وتحدث لنا (المغسلجي) سعد حميد حول اصل الحبرة قائلاً:
(الحبرة) كانت تسمى اصلاً (البردة)، وتسمى ايضاً (بردة) ابي طالب، فقد كان عم الرسول (ص) اول من كُفّن بها.. وشاعت بعد ذلك ومنها اليمانية والسورية والكربلائية.. وهي قماش مستحبة توضع فوق الكفن مثل العباءة.. وتوصى بها النساء اكثر من الرجال.

التجاوزات تعرقل عملنا

واجمع ممارسو هذه المهنة الذين التقيناهم على ان هناك مجموعة من الدخلاء على هذه المهنة.. بدأوا يتاجرون بجثث الاموات في باب مستشفى الحسيني.. من خلال العرض الذي يقدموه لأهل الجنازة فيقوم هؤلاء السماسرة بعرض سعر اقل ويتم تغسيل الميت في مغتسلات غير مرخصة وغير مراقبة من قبل دائرة الصحة، وذلك بإعطاء صاحب هذا المغتسل مبلغاً بسيطاً والباقي ينزل في جيوب هؤلاء السماسرة لذلك تزاحم السماسرة على باب المستشفى الحسيني لتقديم (اوطأ العطاءات) ناهيك عن وجود هذه المغتسلات في داخل المدينة.

الجثة الحية

في الختام روى لنا العاملون في المغتسل قصة العجوز التي باشرت المغسلة بقلبها وتغسيلها، فاكتشفت انها حيّة، وفيها نبض، فخرجت الى اهلها لتخبرهم القصة فخافوا وهربوا جميعاً.. فذهب بها صاحب المغتسل الى المستشفى.. واتصل بأهلها مرة اخرى.. وتوفيت بعد اسبوع.. فحضر اهلها لتغسيلها مرة ثانية.

ومن مستشفى الولادة جاءنا توأم.. اكتشفنا ان احدهم على قيد الحياة فأعيد الى عائلته وهو حي يرزق. حتى الآن وقد اصبح عمره خمس سنوات الآن...

تحت الضوء..

الطاغية أساء لمستقبلنا

حسين التميمي

في كل مرة أشاهد فيها القنوات الفضائية، أشعربالمرارة والأسى ، وينتابني الحزن على مستقبلنا ومستقبل اطفالنا ، وأتساءل : ما بال هؤلاء (العربان)؟ هل هم أغبياء أم متغابون ؟ وهل هم حقا يتباكون بصدق على العراق وعلى شعب العراق أم هم يتباكون على أطلال الطاغية وأزلامه ؟ صدقا أقول .. حاولت في البداية أن أصدق انهم واقعون في شرك الغباء السياسي ، وأن أنظمتهم الدكتاتورية المستبدة تتحمل وزر هذا التجهيل،لكن الأيام كانت تمر وفضائح طاغيتنا ذاع صيتها في الأفاق العربية والعالمية وزكمت رائحتها الأنوف ، حتى ما عاد بالإمكان تعطيرها بأغلى العطور الفرنسية أو الروسية أو الألمانية ، لذا رفع هؤلاء رايات مغايرة وحاولوا الاصطفاف مبكرا في طابور المصالح الاعمارية أو النفطية عسى أن ينوبهم من (الطيب) جانب ، يستثنى من ذلك بالطبع –العربان– ويبدو أن حاسة الشم قد تعطلت لديهم بعد أن سبقتها عطالة أبصارهم ، وقد خطر لي وأنا أشاهد بضعة من هؤلاء المتباكين المتحمسين للطاغية وزمانه ، أقول خطر لي بأن أحاول تلبية رغباتهم ، ولأني نظرت عن كثب إلى العراق وما حل به من احتلال وتدهور أمني ، فقد اهتديت إلى فكرة (جهنمية) وذلك بأن أهدي لهم قائدهم الضرورة (هدية بلا جزيّة) كي يحكمهم ، وهنيئا لهم مسبقا بالجيش الشعبي وجيش القدس والواجبات الحزبية وهنيئا لهم بقادسيتهم وبأم معاركهم الجديدة ، وبرجال الأمن الذين سيعدون عليهم الأنفاس وبرجال المخابرات الذين سيدخلون إلى أحلامهم كي يمنهجوها بالطريقة التي تتناسب وفكر القائد الضرورة ، ولا بأس في أن تغتصب النساء تحت أي ذريعة رأسية لأن رضا الله من رضا القائد ، يضاف إلى ذلك - وقبل أن أنسى - فان أجهزة مثل الموبايل والستلايت تعد في نظر (قائدهم) أجهزة عميلة ويجب التخلص منها ، ومن يعارض رغبة القائد فعليه أن يتحمل وزر جريمته التي لن يكون عقابها إذا تكررت السجن والغرامة فحسب بل الإعدام لأنه سيعد جاسوسا ستحال أوراقه إلى المفتي (أبو مصعب الزرقاوي) .

المدى تدخل عالم السجاد اليدوي في بابل
السجاد الحمزاوي، تعبير عن اصالة الفن الشعبي الموروث

المدحتية .. احدى النواحي الاربع التابعة الى قضاء الهاشمية في محافظة بابل..وتسمى على الصعيد الشعبي بناحية الحمزة الغربي نسبة الى مرقد الحمزة بن القاسم الذي يعود نسبه الى الامام العباس (عليه السلام).اشتهرتْ هذه الناحية منذ زمن مضى بحياكة السجاد اليدوي ، هذه المهنة الشعبية التي توارثها الابناء عن الآباء وشكلت جزءاً من حياة بعض العوائل وارتبطت بنمط معيشتها وامتازت بمهاراتها وابداعاتها الفنية في صناعة اجود انواع السجاد والبسط والازر التي ذاع صيتها وعرفت باسم السجاد (الحمزاوي) نسبة الى الاسم الشعبي للناحية..ولمعرفة بعض التفاصيل التي تتعلق بهذه الصناعة الشعبية وجذورها التاريخية التي ما زالت تحتفظ بطابعها البدائي رغم التطور التكنولوجي والتقني الذي ولج ميدان الصناعة اليوم، كانت لـ (المدى) هذه الجولة الميدانية في عالم السجاد.

بابل/ مكتب المدى/ عايد محمد منصور

في السوق

ما ان دخلنا سوق المدحتية حتى لفتت انتباهنا كثرة المحال التجارية التي تتعامل ببيع وشراء السجاد والبسط والمطارح اليدوية (الوسائد) ذات الالوان والتشكيلات الهندسية والزخارف التي تنم عن اصالة الفن الشعبي وعراقته.
في احد هذه المحال التقينا السيد ديكان نعمة ضايع (تولد١٩٤٧) الذي حدثنا عن هذه المهنة قائلاً: ان حياكة السجاد الحمزاوي لها جذور تاريخية تمتد الى عشرات السنين وكان يمارسها الرجال لصناعة الازر والبسط من الصوف الخالص اضافة الى صناعة العباءة الرجالية، ويعتمدون في صناعتها على الآلات البدائية (الجومة) ثم دخل العنصر النسوي هذا الميدات بإستخدام الاوتاد تدق على سطح الارض بقياسات محددة وتطوى عليها الغزول (لسدة واللحمة) لإنتاج البسط الملساء والغليجة ذات (الخمل) والاغلب بقياس ١ × ٤ م.

انحسار تدريجي

★ هل تعتمدون على صناعات اخرى غير السجاد الحمزاوي؟
- نعم هناك طلب غير قليل على السجاد (الحياوي) الذي يصنع في قضاء الحي التابع الى محافظة واسط وهو يضاهي السجاد (الحمزاوي) وربما كان اكثر جودة منه.
اضافة الى السجاد المستورد التركي والسوري والايراني وغيره ولا بد من القول ان حياكة السجاد المحلي اخذت تنحسر تدريجياً لأسباب عديدة منها ارتفاع اسعار المواد الاولية التي تدخل في صناعتها كالغزول والاصباغ والايدي العاملة وانصراف الكثير من العوائل التي كانت تمتهن حياكة السجاد للعمل في مؤسسات القطاع العام لمردوداته المالية الاكثر نفعاً وبشكل خاص بعد انشاء معملي السجاد اليدوي في الحلة والحمزة .. اضف الى ذلك اقبال المواطنين على شراء السجاد المستورد لإنخفاض اسعاره قياساً بالسجاد اليدوي العراقي.

رأي آخر

لكن السيد احمد صلال هادي الشمري الذي توارث مهنة بيع السجاد اليدوي عن ابيه وجده يخالفه الرأي ويقول ان السجاد الحمزاوي والحياوي يبقى الاكثر اقبالاً في السوق المحلية رغم ارتفاع اسعاره وذلك لجودته وكفاءة تحمله ومقاومته، كونه مصنوعاً من الصوف الخالص في حين ان السجاد الميكانيكي المستورد اقل جودة وكفاءة، وهو مصنوع من الغزول المخلوطة التي تكون مقاومتها ضعيفة عادة وغير عملية.. وان عدداً غير قليل من العوائل الحمزاوية لا تزال تمارس هذه المهنة وتعتبرها جزءاً من حياتها اليومية حتى ولو من باب التسلية وقضاء الوقت برغم ارتفاع مستواها المعيشي والاقتصادي..

في بيت الحاجة ام عباس

قمنا بعد ذلك بزيارة احدى العوائل التي تزاول هذه المهنة، ولما طرقنا الباب استقبلتنا امرأة مسنة بكل ترحيب. وعندما علمت ان مهمتنا صحفية ابتسمت وقالت: ارجو ان لا تضعوا صورتي في الجريدة.
الحاجة ام عباس تحب مهنتها التي رافقتها منذ الطفولة حين كانت تساعد والدتها وجدتها على حياكة البسط والازر وهي المصدر الرئيس لكسب العيش والرزق للعائلة وتقول ان العائلة كانت تشتري الاصواف ثم تقوم بغزلها وحياكتها وبيعها الى (معاميل) واحياناً كان يجري الاتفاق مع اصحاب المحال بتزويدهم بالغزول واجرة الحياكة والاصباغ.. اما اليوم فقد اصبحت المهنة ثانوية ومردودها الاقتصادي قليلاً قياساً بالمهن والحرف الاخرى كما تلاحظ الحاجة ام عباس التي استدركت بالقول: لكن رغم ذلك لا نستغني عنها..
وعن اسرار هذه المهنة وكيفية اختيار النقوش والالوان قالت انها لا تحب ان تكون للمهنة اسرار وتتمنى ان يتعلمها الجميع وتفرح عندما تقصدها الفتيات لإكتساب الخبرة كي لا تنقرض وتضمحل.. وهي تطلعهن على تفاصيل المهنة التي تعتمد على فن وذوق النساجات وخبرتهن، حيث تتم تجزئة الغزول وصبغها بالالوان المختلفة المختارة بعد وضع الماء في القدر واضافة الاصباغ اليه وكذلك مثبتات الالوان التي هي عبارة عن الملح والدباغ (قشور الرمان اليابسة) التي تدق جيداً وتغمر الغزول في القدر وبعد ان تجف يباشر بحياكتها..

مديرمولع بالشعر

ودعنا الحاجة ام عباس وانتقلنا الى معمل السجاد اليدوي في ناحية المدحتية التابع للشركة العامة للسجاد اليدوي احدى شركات وزارة الصناعة والمعادن والتقينا السيد بدر كاظم عباس السعيدي مدير المعمل، وكان على ما يبدو مولعاً بالشعر، وبعد استراحة قصيرة اسمعنا خلالها بعضاً من قصائده الجميلة انتقل ليتحدث لنا عن صناعة السجاد اليدوي فقال:
تأسس المعمل عام ١٩٩٣ بهدف تنمية هذه الصناعة العريقة التي تمثل تراثاً شعبياً اصيلاً، وادخال عملية انتاجها ضمن القطاع العام كي لا تضمحل. وهذا ما تحقق فعلاً حيث استقطب المعمل الذي يضم ثلاث قاعات انتاجية عدداً غير قليل من النساء اللواتي يمتلكن الخبرة الموروثة والمهارة في هذا المجال. واصبح يشكل نسبة ٤٠ ٪ من انتاج الشركة العامة للسجاد اليدوي.
واضاف : أن المعمل يسهم بإنتاج السجاد الحريري والصوفي بأحجام مختلفة وانواع تضاهي اجود انواع السجاد اليدوي العالمي، حيث يجري اعداد تصاميم فنية تعتمد المعالم الدينية والآثارية والتراثية في العراق والمناظر الطبيعية والنقوش الاخرى المختلفة وبقياسات ٤ × ٦ م و ٣ × ٤ م و ٢ × ٣ م و ١ ×٢م . اضافة الى اللوحات الجدارية التي تتضمن نقوشاً تمثل مراقد اهل البيت (عليهم السلام) والمعالم التاريخية والفنية، مثل شجرة التفاح والقباب البغدادية للفنانة وداد الاورفلي، وبيئة الاهوار للدكتور ماهود احمد وكذلك انتاج البسط اليدوية (الركم) المسماة بالحمزاوي بقياس ١ × ٤ م و ٢ × ٣ م و ٣ × ٤ م وبأسعار مناسبة..
★ ما هي الطاقة الانتاجية للمعمل؟
- لم يكن الهدف من انشاء المعمل تحقيق ارباح بقدر ما هو وسيلة للحفاظ على الموروث الشعبي كما اسلفنا وعليه فإن انتاجية المعمل في الظروف الاعتيادية بحدود ١٠٠ م٢ شهرياً اما في الوقت الحاضر فإن انتاجية المعمل تقدر بـ ٨٠ م٢ شهرياً نتيجة للظروف الاستثنائية التي يمر بها العراق وعدم وفرة المواد الاولية وصعوبة تصريف المنتجات..
وخلال جولتنا في اقسام المعمل الإنتاجية اطلعنا عن كثب على طبيعة العمل الفني الدقيق وجودة المنتوج والتقينا النساجة نوال عاشور التي قالت: تعلمت حياكة السجاد في المعمل خلال فترة قصيرة، وانا اقوم حالياً بمساعدة ٣ نساجات بصناعة سجادة من الحرير قياس ٤ × ٦ م والرواتب مجزية ومشجعة والحمد لله.
اما النساجة ايمان مهدي فتقول: دخلت المعمل عام ١٩٩٤ وانا امتلك الخبرة في هذا المجال اذ ان عائلتي تزاول هذه المهنة منذ وقت طويل، واتولى حالياً صناعة، (كمبار) مغربي قياس ٢ × ٣ م ولم اواجه اية صعوبة في عملي..
وشاركتها الحديث النساجات فاطمة هاتف شياع ونجية حريف وشهلاء مهدي اللواتي اكدن ان انشاء المعمل في المدحتية كان خطوة رائدة وفرت فرص العمل لعدد غير قليل من العوائل وحافظت على ديمومة هذه الحرفة الشعبية الاصيلة وتطويرها وهن يأملن في ان يحظى المعمل بدعم من وزارة الصناعة بتوفير اجهزة تكييف وادامة المعدات والقاعات الانتاجية لتوفير بيئة انتاجية ملائمة للعاملات.